فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الخامسة، العدد الأول (المتوالي ٩)
خريف و شتاء ١۴٠٠ش/ ١٤٤٣ق. من صفحة ١٧ الى ٢٩

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 5, No. 1, (Issue 9) Autumn & Winter 2021; pp. 17-29

مقالهٔ پژوهشی **Original Research**

تحليل العلاقات التناصية لـ«الدنيا» في نهج البلاغة والقرآن الكريم

اشرف طحانی[١]، رسول محمّد جعفری*[٢]، غفار برجساز[٣]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠١/١٩ **تأريخ القبول: ١٤٤٣/٠٨/٠٤**

١. ماجستير في علوم القرآن والحديث، جامعة شاهد، طهران، إيران
٢. أستاذ مشارك في علوم القرآن والحديث، جامعة شاهد، طهران، إيران
٣. أستاذ مساعد في اللغة الفارسية وآدابها، جامعة شاهد، طهران، إيران

Analysis of Intertextual Relations of «World» in Nahj al-Balagha and Qur'an

Ashraf Tahani[1], Rasoul Muhammad-Jafari*[2], Ghaffar Borjsaz[3]

Received: 2021/08/28 **Accepted: 2022/03/07**

1. M.A. in Qur'an and Hadith Sciences, Shahed University, Tehran, Iran
2. Associate Professor,Department of Qur'an and Hadith Sciences, Shahed University, Tehran, Iran
3. Assistant Professor, Persian Language and Literature, Shahed University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2022.60597.1287

الملخص

إن التناص هو نظرية تبحث في العلاقات والتفاعلات بين النصوص وفقًا لهذه النظرية، يعطى كل نص معنى بناءً على النصوص التى تمت قراءتها من قبل ولطالما كان للقرآن تأثير في الأعمال الإسلامية، خاصة في أحاديث الأئمة. ومن النصوص التى يمكن تحليل علاقتها مع آيات القرآن بشكل كبير هو نهج البلاغة. ومن الموضوعات التى تأثر بها نهج البلاغة بشكل كبير بالقرآن هى «الدنيا» حيث يتم في كلا النصين رسما ثلاث صور للدنيا: «عالم الممدوح» و«عالم المذموم» و«سبب مدح الدنيا وذمها». يحاول البحث الحاضر الذي يركز على موضوع «الدنيا» باستخدام المنهج الوصفى التحليلى للإجابة على سؤال وهو كيفية تحليل العلاقات التناصية لـ«الدنيا» في نهج البلاغة والقرآن؟ وأشارت نتائج البحث إلى أنه في مثال التناص الكامل، حيث استخدم الإمام على٧ آية: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ دون تغيير بنيتها. وفي التناص الكامل المعدل نوقش مثالان، من بينهما قول الإمام ٧: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الْآخِرَةِ» مأخوذ من الجملة القرآنية: ﴿خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرة﴾، مع اختلاف أن بعض التغييرات قد طبقت في هيكل الآية. لكن التناص الإشاري له الحجم الأكبر، ولهذا المستوى من العلاقة التناصية تمت مناقشة ثلاثة أمثلة، بما في ذلك ت قول الإمام ٧: «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» مستوحى من الجملة القرآنية: ﴿وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾.

الكلمات الدليلية: نهج البلاغة، القرآن، الدنيا، التناص الكامل، التناص الكامل المعدل، التناص الإشاري.

Abstract

«Intertextuality» is a theory that examines the relations and interactions between texts, shaping a text's meaning by another text. The Qur'an has always affected the Islamic works, especially hadith of the Imams (AS). One of the hadith texts whose intertextual relation with Qur'anic verses is significantly analyzable is Nahj al-Balagha. Among topics influenced greatly by the Qur'an in Nahj al-Balagha is the issue of «the World» (*dunyā*), so that both texts portrait the World in three images: «the praised world», «the reprehensible world» and «the cause of praise and condemnation of the world». This research, focusing on the subject of «the world» and using the descriptive-analytical method, aims to answer the question, «what is the analysis of the intertextual relations of «the world» in Nahj al-Balagha and the Qur'an?» Findings show that in the example of full textual intertextuality, Imam Ali (AS) used the verse: «*'aradītum bil-hayāt al-dunyā min al-ākhira*» without changing its structure. In the complete modified intertextuality, two examples are discussed, including, this saying of Imam (AS): «*qad khasirta dār al-dunyā wa dār al-ākhira*», which has been taken from the Qur'anic phrase: «*khasira al-dunyā wal-ākhira*», with the difference that there are some changes in the structure of the verse. As for the referential intertextuality, it covers the largest amountك for this level of intertextual relation, three examples are discussed, including the saying of Imam (AS): «*khudh min al-dunyā mā 'atāk*» inspired by the Qur'anic phrase: «*wa lā tansa nasībaka min al-dunyā*».

Keywords: Nahj al-Balagha, Qur'an, World, Complete Textual Intertextuality, Complete Modified Intertextuality, Referential Intertextuality.

*** نویسندهٔ مسئول:** رسول محمّد جعفری

***Corresponding Author:** Rasoul Muhammad-Jafari
Email: r.mjafari@shahed.ac.ir

المقدمة

أهمية البحث وضرورته

مع تقدم العلوم الإنسانية في مختلف المجالات بما في ذلك علم اللغة، تم توفير منصة الدراسات بين القرآن ونهج البلاغة أكثر من ذي قبل. في الوقت الحاضر، في علم اللغويات، تحت عنوان التناص[1]، يتم استخدام نص لشرح فعالية نص آخر. لذلك، باستخدام التناص، يمكننا مناقشة فعالية أثر نهج البلاغة بشكل أكثر دقة من القرآن. قدمت جوليا كريستوفا[2] مصطلح التناص لأول مرة في الستينيات لأي نوع من العلاقة بين النصوص المختلفة. بعد ذلك، قام جيرارد جينيت[3]، بتوسيع نطاق دراسات كريستوا، بتسمية كل نوع من العلاقة بين نص مع نصوص أخرى أو غير نصية بالكلمة الجديدة transtextuality، وقسمها إلى خمس مجموعات، والتناص هو أحد أجزائها (نامور مطلق، ١٣٨٦ش: ٨٣). إن قبول أثر النص من النصوص السابقة أو المعاصرة في المراجعات التقليدية له تسميات مختلفة مثل: الإشارة والتضمين والإدخال والتقليد والاقتباس والاستقبال والانتحال، والتي تتم مناقشتها في الدراسات الحديثة لهذه الفعالية والتحقيق فيها تحت عنوان التناص (كاكاوند قلعه نوبي ونجار نوبري، ١٣٩٦ش: ٤٧). يعتبر نهج البلاغة من النصوص التي تُشاهد فيها الإشارات بين النصوص بكثرة، وبما أن نهج البلاغة معروف بتراثه الأدبي والديني وله علاقة وثيقة بالقرآن، فإن هناك العديد من العلاقات بين النصوص. من المواضيع التي تأثرت بشكل كبير نهج البلاغة بالقرآن هي قضية الدنيا، ويمكن تحليلها من خلال العلاقات بين النصوص في نهج البلاغة والقرآن.

أسئلة البحث

يسعى البحث الحاضر بالاعتماد على المنهج الوصفي – التحليلي للإجابة على السؤال:ما هي كيفية تحليل العلاقات التناصية لـ «الدنيا» في نهج البلاغة والقرآن؟

خلفية البحث

تمت كتابة العديد من الأبحاث والدراسات حول العلاقة بين القرآن ونهج البلاغة، وعلى وجه الخصوص، تمت كتابة العديد من الدراسات حول العلاقات بين نص القرآن ونهج البلاغة، على سبيل المثال: جرجاني (١٣٩٣ش) في بحث بعنوان «التناص القرآني مع الخطبة رقم ٢٢٨ لنهج البلاغة»، مسبوق (١٣٩٢ش) في بحث بعنوان «روابط بينامتنى قرآن با خطبه‌هاى نهج‌البلاغه»، مسبوق وبيات (١٣٩١ش) في بحث في موضوع «روابط بينامتنى قرآن با نامه٣١ نهج‌البلاغه» تحدث عن التناص بين نهج البلاغة والقرآن. في أي من الدراسات المذكورة أعلاه، لم تتم مناقشة التناص بين القرآن ونهج البلاغة مع موضوع «الدنيا».

تناص «الدنيا» في القرآن ونهج البلاغة

كلام الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مصدره القرآن وبالطبع الحديث النبوي. إن أحد الموضوعات التي تأثر بها نهج البلاغة بشكل كبير بالقرآن هو الدنيا. استخدمت كلمة «الدنيا» في القرآن، ١١٥ مرة، ولها تكرار كبير في نهج البلاغة. كلمة الدنيا هي مؤنث «الأدني» من أصل «دنو» بمعنى قريب. وبحسب راغب أصفهاني، فإن هذه الكلمة أحيانًا يكون لها معنى أدنى من «الأدني» وتوضع أمام «الخير» (أفضل). على سبيل المثال: ﴿أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة/٦١)، أحيانًا تعني «الأول» (البداية) وتوضع أمام الأخر (النهاية)، مثل: خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرَةَ» (الحج / ١١) ومثل: ﴿وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» (النحل/١٢٢) وأحيانًا تعني «أقرب» وفي المقابل. إلى «الأقصى» مثل: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى﴾ (الأنفال / ٤٢) (راغب أصفهاني، ١٤١٢ق: ٣١٩ – ٣١٨). والمقصود من الدنيا في هذا البحث هو معنى «الأول» وهو نقيض «الآخر». قبل دراسة العلاقات التناصية ل «الدنيا» في نهج البلاغة والقرآن، نناقش أولًا شرح الدنيا من منظور القرآن ونهج البلاغة، ثم العلاقات بين النص في نهج البلاغة والقرآن سيتم مناقشته.

1. Intertextuality
2. Julia Kristeva
3. Gérard Genette

الدنيا في القرآن

هناك ثلاثة أنواع من الآيات القرآنية عن الحياة في الدنيا. أ) آيات تمدح الدنيا، ب) آيات تدين الدنيا، ج) آيات تحدثت عن أسباب المدح والإدانة.

أ) «الدنيا الممدوحة» مثل الآيات التي ذكرت فيها امتيازات لبعض الأنبياء في العالم، مثل اختيار إبراهيم (ع): ﴿وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين﴾ (البقرة/١٣٠) وقد اعتبرت هذه المجموعة من الآيات رغبة المؤمنين الصادقين هي الخير في الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنا عَذابَ النّار﴾ (البقرة/٢٠١). كرغبة أتباع موسى (ع) الحقيقيين: ﴿وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْك﴾ (الاعراف/١٥٦)، ويسمى أيضًا وعد الله للمؤمنين بأنه بشرى سارة في حياة الدنيا والآخرة: ﴿لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وفِي الْآخِرَة﴾ (يونس/٦٤) لقد قال من لسان يوسف (ع) بأن الله وليًا له في الدنيا والآخرة: ﴿فاطِرَ السَّماواتِ والْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا والْآخِرَة﴾ (يوسف/١٠١) (جوادي أملي، ١٣٨٩ش: ١٠/٣٧١).

ب) «الدنيا المذمومة»: آيات كثيرة تعتبر حياة الدنيا إلا خداعًا: ﴿وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُور﴾ (آل عمران/١٨٥). وانحصر حياة الدنيا تحت عناوين الهيبة والترفيه والعرض والتباهي وقصر التكاثر في الممتلكات والأطفال: ﴿اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَةٌ وتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ والْأَوْلادِ﴾ (الحديد/٢٠) ووصف حياة الدنيا فقط لعبة: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾ (الانعام/٣٢). ومن هذه الفئة الآيات التي تقول: إن الكفار والمنافقين قدموا الآخرة واشتروا حياة الدنيا: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ﴾ (البقرة/٨٦). معنى هذا أن الدنيا خدعة، ليس إلا خدعة، هو العلاقات الائتمانية والألقاب الخيالية. نفس الدنيا التي لا يستفيد منها أحد إلا ببيع الدين وخسارة الآخرة، لأن البيت والأرض والسيارة ليسوا من الدنيا المنكرة؛ لأن الإنسان بشرائها لا يعطي الآخرة بل يعطي نصيبًا من ثروة الدنيا ويشتري الجزء الآخر من ثروة الدنيا. لذا فإن الاعتماد على حياة هذه الدنيا ولقب «أنا» و«نحن» هو ائتمان غير مبرر يقوم الشخص أحيانًا ببيع دينه والآخرة (جوادي أملي، ١٣٨٩ش: ١٠/ ٣٧١-٣٧٢).

ج) «أسباب مدح الدنيا وذمها»: آيات تشرح سر تقسيم الدنيا إلى جدير بالثناء والذم. مثل الآية التي تعرف الدنيا على النحو التالي: الدنيا مثل المطر الذي أنزلناه من السماء، وبمساعدة المواد الغذائية صارت الأرض خضراء خصبة، وظن أهلها أنها دائمة وأنهم دائمًا. كان له سلطان عليه، بينما في الليل أو في النهار يأتي المرسوم الإلهي ويدمر زينة الأرض ويذبلها. كما لو لم يكن هناك شيء من هذا القبيل بالأمس: ﴿إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السَّماءِ فاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ مِمّا يَأكُلُ النّاسُ والأَنعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَها وازَّيَّنَت وظَنَّ أَهلُها أَنَّهُم قادِرونَ عَلَيها أَتاها أَمرُنا لَيلًا أَو نَهارًا فَجَعَلناها حَصيدًا كَأَن لَم تَغنَ بِالأَمسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرون﴾ (يونس/٢٤). والدليل على هذه الآية الكريمة هو آية ٢٠ من سورة الحديد التي تعتبر حياة الدنيا منحصرة في خمس مراحل من اللعب والمرح والتباهي والتفاخر والتعددية، ويتبعها نفس المثال (جوادي أملي، ١٣٨٩ش: ١٠/٣٧٣). من الممكن أيضًا رؤية الجانب الآخر من سبب مدح الدنيا وذمه على أنه ينظر إلى ظاهر الدنيا. وهذا يعني أن الدنيا إناء جعلها القدّيسون كريمة، وقد حوّلوا الدنيا إلى ساحة للعبودية والقرب من الله، وعلى عكس الآخرين في هذه الدنيا، فقد ذبحوا كرامة الإنسان وكماله في مذابح الشهوات والرغبات الجسدية، فقد هبطت من منزلة الإنسان إلى منزلة حيوانية، بل وأقل من ذلك.

الدنيا في نهج البلاغة

على حد قول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، هناك ثلاث فئات من الافتراضات حول الحياة في الدنيا، تمامًا مثل آيات القرآن:

أ) «الدنيا الممدوح»: أقوال تمدح الدنيا وتعتبرها مخزنًا لأولياء الله: في خطبة ٢٢٣ قال الامام (ع): «وَ حَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ ولَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ ولَقَدْ كَاشَفَتْكَ

الْعِظَاتِ وآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ...» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٣٤٥) أو جاء في حكمة ١٣١ «إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ودَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ودَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ودَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا...» (نفس المصدر: ٤٩٢).

ب) «الدنيا المذمومة»: الافتراضات التي تدين حياة الدنيا وتعتبرها خادعة ومصدر كل المتاعب؛ وقد جاء في حكمة ٢٣٠: «فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا ولَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا ولَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا» (نفس المصدر: ٣٥٢) أو جاء في حكمة ٥٤٨: «الدنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ» (نفس المصدر: ٥٤٨).

ج) «أسباب مدح الدنيا وذمها»: الافتراضات التي تقسم الدنيا إلى نوعين من اللوم والجدير بالثناء، وتعتبر التعلق والاعتماد عليها أمرًا مستهجنًا، ومن ناحية أخرى النظر إليها كأداة الوصول إلى الآخرة والتعلم من نصيحتها هو سبب الثناء. فمثلًا في جزء من الخطبة رقم ٨٢ جاء: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ ومَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْه» (نفس المصدر: ١٠٦) أو في نفس المجال يمكن أن يقال. أنه مثلما تشبّه الآية ٢٤ من سورة يونس بأن الدنيا مثل المطر المتساقط من السماء، شبّه الإمام علي (ع) الدنيا بأفعى سامة. قال في الرسالة ٦٨: «فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا وضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا» (نفس المصدر: ٤٥٨).

تحليل مستويات تناص «الدنيا» في نهج البلاغة والقرآن الكريم

تنقسم نظرية التناص إلى عدة أنواع وتختلف هذه التقسيمات بناءً على طريقة وشكل تطبيقها في نصوص مختلفة (ستوده نيا؛ محققيان، ١٣٩٥ش: ٢٤). من وجهة النظر الفنية، هناك أنواع مختلفة من العلاقات بين النصوص، بما في ذلك: ١- التناص الكامل للنص، ٢- التناص الكامل المعدل، ٣- التناص الإشاري (حبيبي، ١٣٩٢ش: ٣٢). ١- التناص الكامل للنص: هنا الاعتماد على النص الكامل والمستقل ونفس النص الأصلي تمامًا دون زيادة أو تقليل في سياقه الأصلي يستخدمه منشئ النص الحالي (ما بعد النص)، سواء كان هذا النص بيت واحد أو مصرع أو قصيدة أو جملة نثرية (شاهرخي شهركي، بيك‌زاده و صادقي، ١٣٩٦ش: ١٢٥).

٢- التناص الكامل المعدل: في هذا النوع من العلاقات، يعتمد المؤلف على نص مستقل وكامل (سواء كان مصرعا أو بيتًا أو قصيدة أو عبارة نثرية). قام بفصل هذا النص عن سياقه وبعد تطبيق بعض التفكيكات البسيطة أو المعقدة، مثل الجمع والطرح، وتقديم المكونات وتأخيرها، وتغيير زمن وتصريف الأفعال، وتحويل جمل الانشائية إلى الأخبارية وبالعكس، قام بتحويل هذا النص إلى سياق النص خاص به (تقوايى كارموزدي، ١٣٩٤ش: ٦٧).

٣- التناص الإرشاي: في هذا الصدد، يقتصر المؤلف على ذكر علامة أو أكثر في الكلمات التي توجه القارئ إلى النص المفقود، وتنقل العديد من المعاني إلى ذهن القارئ ببضع كلمات (حبيبي، ١٣٩٢ش: ٤٧؛ راستكو، ١٣٩٦ش: ٥٢).

بمقارنة آيات القرآن وكلمات الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، يبدو أنه يمكننا تفسير «الدنيا» على أساس المستويات الثلاثة لعلاقات التناص: ١- التناص الكامل للنص، ٢- التناص الكامل المعدل، ٣- التناص الإشاري. لشرح كل نوع من أنواع العلاقة بين النص، يُذكر أولًا النص الحالي - وهو أقوال من نهج البلاغة - ثم ينعكس النص الغائب - وهو آيات القرآن - ثم يتم تحليل العلاقة بين النصين.

التناص الكامل للنص

التناص الكامل لنهج البلاغة مع القرآن الكريم يعني أن الإمام علي (ع) استخدم جملًا أو عبارات من النص الغائب (القرآن الكريم) في كلماته (النص الحالي) دون أي تغيير. مع البحث الذي أجري في نهج البلاغة، تم استخدام هذا النوع من التناص مرة واحدة لشرح موضوع «الدنيا».

النص الحاضر: ورد في جزء من خطبة ٣٤: «أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَة

عِوَضًا» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٧٨).

النص الغائب: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قيلَ لَكُمُ انْفِرُوا في سَبيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضيتُمْ بِالْحَياة الدُّنْيا مِنَ الْآخِرة فَما مَتاعُ الْحَياة الدُّنْيا فِي الْآخِرة إِلاَّ قَليلٌ﴾ (التوبة/٣٨).

علاقة تناصية: بعد القتال مع الخوارج، طلب الإمام علي (ع) من قواته الانتباه إلى الشام. وطالبوا بالعودة إلى الكوفة لتجديد قوتهم. ورغم أن الامام لم يكن راضيًا، عاد ونزل في المخيم خارج الكوفة المسمى «نخيلة» وأمرهم بالبقاء في المخيم وتجهيز أنفسهم للجهاد والسفر أقل إلى المدينة، واحتجوا ولم يبقوا في النخيلة إلا قليلًا. جاء الإمام علي (ع) إلى الكوفة وألقى كلمة، لكنهم لم يكونوا مستعدين للتحرك.

وبعد أيام قليلة ألقى الإمام هذه الخطبة توبيخًا لهم (ابن ميثم ١٣٧٥ش: ٢/ ١٦٧-١٦٦)؛ ابن أبي الحديد، ١٤٠٤ق: ٢/ ١٩٤-١٩٣). ويقول الإمام: عار عليكم! سئمت من لومكم، فهل اخترتم حياة الدنيا بدلًا من الآخرة؟ (أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَة عِوَضًا).

تشير الجملة الأخيرة إلى اقتباس من الآية ٣٨ من سورة التوبة (النص الغائب)، وهي آية تتحدث عن حدث مشابه لتحدي الإمام علي (ع) لقواته. وأما في شأن نزول هذه الآية فقد قيل: لما رجع رسول الله ص من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان إدراك الثمار فأحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال وكان قلما خرج في غزوة إلا كنى عنها ووري بغيرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس أنزل الآية (الطبرسي، ١٣٧٢ش: ٥/ ٤٧).

وبناءً على ذلك، فإن اختيار الإمام علي (ع) للجملة القرآنية كان ذكيًا ومنسجمًا مع الخطاب، وفقًا لحالة الجمهور وظروف الزمان والمكان التي تحكم حديثه. بالنظر إلى أن الإمام (ع) قد استخدم كلمات القرآن دون تغيير بنيته، فإن العلاقة بين النص الحاضر (كلام الإمام) والنص الغائب (العبارة القرآنية) هي التناص الكامل. غير أنه في كلام الإمام علي (ع) تم إضافة كلمة «عِوَضًا» إلى آخر جملة ﴿أَرَضيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرة﴾. في شرح هذه الإضافة يقال أن حرف جر «من» في «من الأخرة» له معنى العوض (بدلًا من/ في المقابل)، لذلك فإن «من الأخرة» تعني «بدل الآخرة» (الزمخشري، ١٤٠٧ق: ٢/٢٧١) وحاول الإمام علي (ع) بإضافة كلمة «عِوَضًا» في خطابه (النص الحاضر) أن يوضح قدر الإمكان معنى حرف جر في «من».

التناص الكامل المعدل

معنى التعديل الكامل لعلاقة نصوص في نهج البلاغة والقرآن هو أن الإمام علي (ع) في كلماته (النص الحاضر) يفصل الجمل أو العبارات عن النص الغائب (القرآن الكريم) عن سياقها وبعدها استخدم بعض التغييرات البسيطة أو المعقدة، مثل: التقليل والتكثير، التقديم والتأخير، تغيير صيغة الفعل وشكل الأفعال. تم الإبلاغ عن أمثلة على هذا النوع من العلاقات بين النصوص في ما يلي:

المثال الأول

النص الحاضر: جاء في قسم من خطبة ٢٨: «... إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الْأَمَل فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٧٢).

النص الغائب: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ فِي الْحَجِّ وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوي واتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾ (البقرة/١٩٧).

العلاقة التناصية: قبل السيد الرضي تحدث الثقفي في كتابه الغارات وكتب أن الإمام علي (ع) كان يعترض على هذه الكلمات في خطبه (الثقفي، ١٤١٠ق: ٢/٤٣٥-٤٣٦). من الواضح أن النص الحاضر (خطاب الإمام): «فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا» مأخوذ من النص الغائب (العبارة القرآنية): «تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوي».

«تَزَوَّدُوا» هو فعل أمر من الثلاثي المزيد من مادة «زود / زاد» .والكلمة في اللغة تعني الطعام الذي يؤخذ

من أجل السفر (جوهري: ١٣٧٦ق: ٤٨١/٢)، وفي اللغة العربية، يستخدم أصل هذه الكلمة بالمعنى الحسي. في ضوء المعنى الحسي، استعارت مجازيًا للمعنى غير الحسي، ويسمى من أتى أو حقق الحسن: «قد تزود» (ابن فارس ١٤٠٤ق: ٣٦/٣). ويكتب الزمخشري: يقال مجازيًا: التقوى خير أمتعة واختاروا أمتعة من الدنيا للآخرة (الزمخشري، ١٩٧٩م: ٢٧٧).

في الثقافة القرآنية، تغير مستوى السلوك البشري والفكر من الشؤون المنخفضة إلى السامية. إذا كانت طاقة وجهود المجتمع في ذلك اليوم قبل إرسال الرسول ٩ ووحي القرآن قد تركزت على الشؤون المادية، فقد أظهر القرآن حقيقة مكانة الإنسانية وقيمتها ووجهها. نفس الكلمات اليومية الشائعة والملموسة للأمور الروحية السامية. تدل بداية العبارة القرآنية على أن الآية نزلت أثناء الحج: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوي». كان عرب الجاهلية قد أزالوا عبادة الحج التي لا تضاهى عن طريقها الإلهي والبناء، إذ يُروى أنهم عند توقفهم في الموسم أو في الحجرة، كانت كل أحاديثهم عن آبائهم وأجدادهم، فمدحوا ووصفوا. هم (واحدي، ١٤١١ق: ٦٦) أو حسب حديث الإمام باقر (ع)، بعد انتهاء الحج اجتمعوا وسردوا قصص آبائهم، وتذكروا الأحداث الماضية ونعمهم الكثيرة (الطبرسي، ١٣٧٢ق: ٥٢٩/٢). لقد دمر القرآن المبنى الذي شيد بين جهلاء عرب من الحج وأعاد تصميمه بحيث يكون في هذا البرنامج القرآني خير متاع للإنسان هو التقوى. يذكر القرآن الكريم ويحذر البشر من أنك قبل كل شيء مسافر، ولست مخلوقًا صلبًا راكدًا مثل الحجر الذي يبق في مكانك: «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه» (الانشقاق: ٦) معناه مبدأ السفر .. وعدم البقاء في الدنيا ضروري لك. ثانيًا، لا يمكن للمسافر السفر بدون أمتعة. ثالثًا، أفضل زاد في هذه الرحلة هي التقوى: «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوي». لذلك لا يستطيع الإنسان أن يمتنع عن السفر، ولا يسافر بدون زاد، ولا للمسافر إلى الله أن يختار زادًا غير التقوى (جوادي أملي، ١٣٨٩ش: ١٠٠/٤).

لقد تدرب الإمام علي (ع) على ثقافة القرآن وهو المبين والمفسر لهذا الكتاب الإلهي، ولذلك، وبتوجيه من القرآن، فإن الامام (ع) قد ذكر في خطبته في كثير من الأحيان عن أخذ الأمتعة من هذاه الدنيا للآخرة بتعبير «تَزَوَّدُوا»، بما في ذلك في الخطبة الثامنة والعشرين، قال: «فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا» وهذا هو الدنيا الممدوحة وسبب إنشائه؛ عالم يتم فيه نصح الناس وتشجيعهم على السعي لتحقيق النمو والتميز وحمل أمتعة الحياة الأبدية. على أي حال، بالنظر إلى الآية ١٩٧ من سورة البقرة، يتضح أن قول الامام (ع) هذا مأخوذ من آية القرآن، مع الاختلاف في كلام الإمام علي (ع)، كلمة «الدنيا» مذكور ولكن هذه الكلمة لم ترد في آية القرآن. ولما كان الدنيا هى مكان تنفيذ الواجبات فقط، فإن الله تعالى يريد أن يرفع العبء عن هذه الدنيا. لذلك، فإن كلام الإمام (ع) قد أوضح معنى الآية من جهة، ومن جهة أخرى، تم ذكر كلام النبي في ضوء آيات القرآن، وبما أنه تم استخدام الآية مع نفس الموضوع وبعض التغييرات في هيكلها، فالعلاقة بين النص هو التناص الكامل المعدل.

المثال الثاني

النص الحاضر: جاء في الرسالة الثالثة في نهج البلاغة: «فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الْآخِرَة» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٣٦٤).

النص الغائب: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرة ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾ (حج/١١).

العلاقة التناصية: روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين (ع) اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك فاستدعى شريحا وقال له بلغني أنك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت لها كتابا وأشهدت فيه شهودا فقال له شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له: يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا ويسلمك إلى قبرك خالصا فانظر يا شريح

لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك فإذا أنت: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الْآخِرة» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٣٦٤). روي عن الإمام الصادق (ع) أن الآية قيد المناقشة (النص الغائب) نزلت في من اعترف بوحدانية الله وابتعد عن عبادة الأصنام وترك الشرك، ولم يؤمنوا برسالة الرسول ٩من عند الله. فقد شككوا في رسالة الرسول ٩ وكل ما أتى به من عند الله، فقالوا: إذا كثر ثروتنا ونحن وأبناؤنا بصحة جيدة، سنكون على يقين أنه صادق، وإلا فإننا نتأمل (الكليني، ١٤٠٧ق: ٢/ ٤١٣-٤١٤). وقد ذكر الله في الآية جماعة من الكافرين وغير الصالحين هم الذين يعبدون الله من طرف واحد أي أنهم يعبدون الله فقط إذا كانت عبادته تنفعهم في الدنيا، والعبادة هي توظيف الدين للدنيا، فإذا كانت ذات فائدة مادية، فيستمرون في عبادة الله ويثقون به، أما إذا جربوا وامتحنوا، فإنهم يديرون ظهورهم حتى لا ينظروا إلى اليمين واليسار. يرتدون من دين الله، ويعتبرونه شر، أو إذا كانوا لا يعرفون أنه شر، فإنهم يبتعدون عن دين الله على أمل النجاة من هذا الاختبار القاتل. وهذه الطريقة هي أيضًا عادتهم في عبادة الأصنام، أي أنهم يعبدون الأصنام من أجل تحقيق الخير المنشود أو الخلاص من شر الدنيا بشفاعتهم (الطباطبائي، ١٣٧٤ش: ١٤/ ٤٩٤) ولكن حسب عبارة «خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرَةَ» هم ضائعون في الدنيا والآخرة. الضياع في الدنيا هو ضياع الشرف والكرامة والمصالح والسيادة والقيادة، ولن تكون أموالهم وأرواحهم آمنة، والخسارة في الآخرة هي فقدان الثواب الدائم ونزول العذاب الدائم (فخر الرازي، ١٤٢٠ق: ٢٠٩/٢٣).

جملة الإمام علي (ع): «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الْآخِرة» مأخوذة من العبارة القرآنية «خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرَةَ». كما في الآية، فقد ورد ذكر من يعبد الله من طرف واحد وبهذا الفعل يجلبون الخراب في الدنيا والآخرة، أمثال شريح قاضي، إذا حاولوا تحسين عالمهم من خلال اقتناء ممتلكات غير مشروعة، فإنهم يعبدون الله أيضًا من ناحية أخرى بمعنى أن تدينهم سيكون فقط في اتجاه توفير رزقهم وإذا لم يقدموا منافع دنيوية، سيتخلون عن دينهم وسيعانون من خسائر في هذا العالم والآخرة.

ويرى بعض االشارحين على نهج البلاغة أن «الخسران المبين» المذكور في الآية في مكان يجمع فيه المال والثروة بشكل غير شرعي ويبني القصور، ودون أن ينفع أقلها هجرها وبقي في وطنه. في حين أن المسؤولية عن كل ذنوبه تقع على عاتقه وهذا هو «الخسران المبين» الذي أشار إليه الإمام (ع) مستخدمًا آيات القرآن، وهذا سبب وجود الكثير من الناس الذين وقعوا في نفس المصير ولا يعرف الإنسان ما هي فئتهم؟ (مكارم شيرازي، ١٣٧١ش: ١٤/٧٥١-٧٥٢).

وتجدر الإشارة إلى أن آيات القرآن تتدفق بنفس طريقة تدفق الشمس والقمر (صفار، ١٤٠٤ق: ١٩٦/١) والمقصود بمقارنة التكرار اليومي للآيات بالتداول المستمر للشمس والقمر، وتطبيق مفاهيم القرآن على أمثلة مختلفة. وبعبارة أخرى، الكون وزمن الآيات عالميان، من وجهة النظر هذه، على الرغم من أن الآية مكان للنقاش حول حالة المنافقين ويتحدث عن ضياع الدنيا والآخرة عنهم، ومع ذلك فإن موضوع الوحي لن يقتصر على الآية، وأمير المؤمنين (ع)، رغم أنه هو الذي انتصب قاضي شريح، ولكن يحذره من أن يقع في ضياع الدنيا والآخرة.

وقد استخدمها الإمام على (ع) في كلماته مع بعض التغييرات في تركيب الآية؛ تم تغيير صيغة فعل«خَسِرَ» من صيغة المذكر المفرد للغائب إلى صيغة المذكر المفرد المخاطب «خَسِرْتَ» لأنه هنا في خطاب الإمام (ع)يعتبر قاضي كممثل لفكرة. والاختلاف الآخر هو استخدام كلمة «دَارَ» قبل كلمتين «الدنيا» و«الْآخِرَة»، لذا فإن التناص هو نوع من التناص الكامل المعدل.

التناص الاشاري

معنى التناص الإشاري لنهج البلاغة مع القرآن الكريم هو أن الإمام على (ع)استخدم في خطابه (النص الحالي) مفاهيم النص الغائب (القرآن الكريم) – وليس الكلمات الدقيقة – وبذكر علامة واحدة أو أكثر. إن التناص الإشاري هو نفس التلميح في علم البديع، والذي يشير

إلى بيت مشهور، أو حديث، أو مثل، أو قصة، أو قصيدة بأدنى حد من الكلمات بحيث يصبح معنى المتحدث أكثر وضوحًا من خلال الربط بينهما والمحتوى أكثر فعالية. (التفتازاني، ١٤٠٧ق: ٤٧٥؛ الجرجاني، ١٤٠٥ق: ٩١) بالطبع، ليست كل إشارة تلميح، وأفضل تلميح هي عندما يقبل عقل الشاعر والكاتب تأثير الآية أو الحديث فقط، وليس أنه يقتبس تلك الآية والحديث مباشرة ويطلق عليها تلميح (حلبي، ١٣٨٥ش: ٥٦). أحد أنواع تجليات الآيات القرآنية في نهج البلاغة هو التناص الإشاري. هناك العديد من الأمثلة على هذا النوع من العلاقات بين النصوص في نهج البلاغة، وقد يتم ذكر ثلاثة أمثلة منها وتحليلها.

المثال الأول

النص الحاضر: جاء في قسم من حكمة ٣٩٣: «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٥٤٥).

النص الغائب: ﴿وَ لا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وأَحْسِنْ كما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص/ ٧٧).

العلاقة التناصية: اعتبر الإمام علي (ع) في حكمة ٣٧٩ الرزق على نوعين: الرزق الذي يطلبه الإنسان والآخر الرزق الذي هو يطلب الإنسان، وإذا لم يذهب إليه يأتي إلى الإنسان في يوم من الأيام. (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٥٤٥). وما ذكره الإمام في كلامه: «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» هو نصيحة للاستفادة من الرزق والمنافع الدنيوية من كلا النوعين. وسواء أكان ما يتعلق بالإنسان أو ما يطلبه، وبحسب قول الإمام (ع)، يجب على الناس الاستفادة من هذه الدنيا، ولا ينبغي أن يكون الزهد والعزلة سببًا للابتعاد.

في الجملة المتعلقة بالنص الغائب: «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» كما قال معظم المفسرين، فهذا يعني أنه لا يجب أن تنسى سعادتك وتستفيد من الدنيا حتى تستفيد من الآخرة وبهذه الوسائل افعلوا الأعمال التي تنقذكم من العقاب الإلهي (الطبري، ١٤١٢ق، ٧١/٢٠؛ الطبرسي، ١٣٧٢ش: ٤١٦/٧). كما نقل من الإمام علي (ع) لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب بها الآخرة (الطبرسي، ١٣٧٢ش، ٤١٦/٧). وعليه فإن قصد الله تعالى عن جملة «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا»- التي لها علاقة نصية مع جملة الإمام علي (ع): هو أنه ألا تترك الرزق الذي قدّره الله لك، بل تصرف فيه في الآخرة، لأن النفع الحقيقي ونصيب كل فرد في الدنيا هو ما فعله للآخرة، لأن الباقي له هو العمل (الطباطبائي، ١٣٧٤ش: ١١١/١٦). لا تدان الدنيا في مدرسة الإسلام، أولًا وقبل كل شيء، بل يُدان بشكل ثانوي وغير مباشر؛ المذموم هو الحب والتعلق بالمال والمكانة الدنيوية، مما يسبب نسيان الله والقيامة: «وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا ومَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتاعٌ» (الرعد/٢٦)، لذلك في تعاليم الله، لا يوجد تناقض بين الحياة الصحيحة في الدنيا والسعادة في الآخرة «وَ لا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» (جوادي أملي، ١٣٨٨ش: ١٥٦).

من دراسة ومقارنة كلام الله في القرآن بكلام الإمام علي (ع) في نهج البلاغة يتضح أن هناك علاقة ذات معنى بين جملة الإمام: «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» وقول الله: «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا». والدليل على هذه العلاقة هو أنه أولًا تم ذكركلتا الكلمتين على محور الدنيا الممدوحة، وثانيًا، حيث تقول الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن ينسى نفعه من الدنيا وأن يستخدمه بقدر ما يحتاج إلى الثباتمن الحياة الدنيوية، وتجنب الإسراف والعصيان، وورد نفس المفهوم في كلام الإمام علي (ع) في شكل كلمات أخرى، فتبين أن كلامه تأثر بالقرآن وهداه، وكان مستوحى منه. ذكر كلام الله، عبارة «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» وبما أن له مضمون قرآني – وليس كلامه بالضبط – يستخدم في كلام الإمام (ع)، فإن العلاقة بين كلام الإمام والنص الغائب يمكن اعتباره نوعًا من التناص الإشاري.

المثال الثاني

النص الحاضر: جاء في قسم من خطبة ٣٢: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَهِ ولاَ يَطْلُبُ الْآخِرَهَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٧٥).

النص الغائب: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾ (الشورى/٢٠).

العلاقة التناصية: في الخطبة الثانية والثلاثين، قسم الإمام علي (ع) الباحثين الدنيويين إلى أربع فئات، والفئة الثالثة هي أولئك الذين يسعون إلى الدنيا من خلال أعمال الآخرة، ولكنهم لا يسعون إلى الآخرة من خلال أعمال الدنيا: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الأخِرَةِ ولاَ يَطْلُبُ الأخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا».

إن كلام الإمام عن أولئك الذين «يسعون إلى الدنيا بعمل الآخرة» هو إشارة إلى حقيقة أنهم مخادعون من أجل كسب الدنيا ويسعون للعالم بالنفاق والتظاهر. لكن قول الرسول إن هذه الجماعة «تريد الآخرة بعمل دنيوي» يدل على أنها تعمل فقط من أجل الدنيا، حتى لو كانت في شكل الآخرة (ابن ميثم، ١٣٧٥ش: ١٤٧/٢-١٤٦).

مضمون كلام الإمام علي (ع) مستخدم في النص الغائب (الآية ٢٠ من سورة الشوري)، في هذه الآية قال الله تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾ حرث في اللغة بمعنى الكسب، (فلان يحرث لعياله ويحترث اى يكتسب) من يريد أن يفيد الدنيا من خلال أفعاله، سنمنحه جزءًا مما طلبه، ليس كل ما يطلبه، ولكن وفقًا للحكمة، سنمنحه جزءًا من رغباته (الطبرسي، ش: ٢٢/ ١٢٢؛ الطبري، ١٤١٢ق، ١٤/٢٥؛ الطوسي، د.ت، ١٥٥/٩)، لأنه لم يقل: «نؤته ايّاها» أننا سنعطيه ما يشاء، بل قال إننا سنمنحه بعضًا منها (نُؤْتِهِ مِنْها)، لذا فإن الإرادة والنية في الدنيا المهم مهما طهر الإنسان مثله لا يعطي ثمن وهذا الطهارة مثل النفاق (جوادي أملي، ١٣٩٥ش: ٣٣/٣٨) لذلك فإن طالب الدنيا ينعم بقدر معين من هذه الدنيا وهو محروم بالتأكيد من الآخرة، ومن الممكن أن تستفيد مجموعة من الكافرين من الخيرات الدنيوية لفترة، لكنهم لن ينعموا بالبركات المادية والروحية وليس لهم نصيب في الآخرة (جوادي أملي، ١٣٩٢ش: ٥٣٣/٢٩).

ومضمون الآية ٢٠ من سورة الشوري هي من المضامين التي تكررت في القرآن بتفاسير وألفاظ مختلفة، حيث يقال: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها﴾ (هود/١٥)، ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الاسراء/١٨). كما أشير في هذه الآيات إلى أن الله يعطي لمن يطلبون الدنيا ما يريدون، بالطبع، ليس كل ما يريدون، بل المقدار المخصص لهم.

وبحسب ما قيل في النص الغائب، فالأمر يتعلق بالذين يسعون إلى طلب الدنيا، فإن هؤلاء ينالون ما يسعون إليه، لكنهم لن يستفيدوا من الآخرة. هؤلاء الناس لن يتوقفوا عن استخدام أي وسيلة لطلب الدنيا، وأحيانًا يسعون وراء رغباتهم الدنيوية بالنفاق والازدواجية وبأفعال روحية وديماغوجية على ما يبدو، فهم من بين أولئك الذين، وفقًا لكلام الإمام علي (ع) يستخدمون مكاسب العالم والسعي للعالم ببيع الدين. وبناءً على ذلك، فإن العلاقة بين النص الحاضر (نهج البلاغة) والنص الغائب (القرآن) هو من نوع التناص الإشاري، ويمكن اعتبار كلمات الإمام علي (ع) مستوحاة من الآية المذكورة.

المثال الثالث

النص الحاضر: جاء في بداية خطبة ٢٣: «فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ [كَقَطْرِ] كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ٦٤).

النص الغائب: ﴿أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ (الزخرف/٣٢).

العلاقة التناصية: ما يظهر بوضوح في حياة البشر هو الفرق بين البشر في التمتع بالقوت والرزق، تمامًا كما لا يوجد شخصان متماثلان في أمور مثل: الخصائص الجسدية والذكاء والموهبة والميول الروحية ومدى الحياة. القوت ليس مستثنى من مبدأ الحياة هذا، فهو مذكور في الآية ٣٢ من سورة الزخرف (النص الغائب). القوت ليس في يد البشر، لأنه لو كان كذلك لما وجد فقير ومحتاج في القوت، بل لا يوجد شخصان مختلفان في القوت، لذا فإن الاختلاف هو أوضح سبب في أن قوت الدنيا تم تقسيمه بين المخلوقات بالعناية الإلهية – وليس

العناية البشرية – (الطباطبائي، ١٣٧٤ش، ١٤٧/١٨). وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف هو أولًا أن أفراد المجتمع يخضعون لبعضهم البعض عن طريق الفتح المتبادل (وليس الفتح الأحادي) ويتم تأمين نظام حياتهم (جوادى آملى، ١٣٨٦ش: ١/ ٣٨٤-٣٨٥)، وثانيًا، تكوين الحياة، يجب أن نعطي الحياة الاجتماعية ويجب أن تزدهر فيها صفات الكرم والتضحية والصبر والرضا. لأنه إذا كانت هي نفسها، فلن تزدهر هذه الصفات (قرائتي، ١٣٨٣ش: ٤١/٢).

في خطبة نهج البلاغة الثالثة والعشرون، شبه الإمام علي (ع) الفرق بين الناس في الحصول على الرزق بقطرات المطر. لأن قطرات المطر اللطيفة تنزل على أراضٍ مختلفة بأمر من الله بطرق مختلفة. كما ينحدر قوت الله من سماء الوجود ورحمته على الأرض من حياة الإنسان ويختلف كل منهما عن الآخر تمامًا. في بعض الأراضي، تمطر بغزارة بحيث تتدفق الأنهار الضخمة، وفي بعضها، تمطر كمية قليلة على مدار العام (مكارم شيرازي، ١٣٧٥ش: ٤١/٢). من يعتقد أن رزق جميع الناس ليس بالتساوي وأساس العالم ليس أن يكون لكل شخص قوت مساوي، بعد أن حاول جاهدًا البحث عن القوت، سيكون راضيًا بما كسبه ولن يقارن نفسه مع الآخرين.

وبحسب ما قيل، فإن العلاقة بين نهج البلاغة والقرآن هي التناص الاشاري. بحسب النص الغائب (آية قرآنية)، فإن الله لم يجعل الحياة اليومية للإنسان واحدة، على الأقل في تسع آيات من القرآن الكريم، مع تعابير «يبسط» و«يقدر»، فقد أوضحها الله. أنه جعل الرزق للبعض واسعة وضيقة للآخرين، (الرعد/ ٢٦؛ الإسراء/ ٧٠؛ القصص/ ٨٢؛ العنكبوت/ ٦٢؛ الروم/ ٣٧؛ السبأ/ ٣٦ و٣٩؛ الزمر/ ٥٢؛ الشورى/ ١٢). لكن وفق النص الحاضر (نهج البلاغة)، فإن رزق الله يأتي من السماء إلى الأرض مثل قطرات المطر، لكل من قدر له، قليلًا أو كثيرًا. وقد تم استخدام هذا الموضوع كثيرًا في جمل أخرى للإمام علي (ع) بما في ذلك في الرسالة ٧٢ التي كانت موجهة إلى عبد الله بن عباس – قال الإمام علي (ع): «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيسَ لَكَ» (الشريف الرضى، ١٤١٤ق: ٤٦٢).

الخاتمة والاستنتاجات

اتضح مما حدث أن نهج البلاغة تأثر بالقرآن في موضوع الدنيا. في كلا النصين، هناك ثلاث فئات من الافتراضات حول العالم: أ) الافتراضات التي تمدح العالم، ب) الافتراضات التي تدين حياة العالم، ج) الافتراضات التي تقسم العالم إلى نوعين من الإدانة والثناء، والتعلق والاعتماد عليها، يعتبرونها مذمومة، ومن ناحية أخرى، إذ ينظرون إليها كأداة للوصول إلى الآخرة والاستفادة من نصائحها، فقد ذكروا أن الدنيا ممدوحة. تم شرح الأمثلة بناءً على النظرة المستمدة من العالم في القرآن ونهج البلاغة، واستنادًا إلى المستويات الثلاثة للعلاقات بين النص: ١- التناص الكامل للنص، ٢- التناص الكامل المعدل، ٣- التناص الإشاري. في مثال على التناص النصي الكامل، استخدم الإمام علي (ع) الآية: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَياة الدُّنْيا مِنَ الْآخِرة﴾ دون تغيير هيكلها، وقال: طبعا في حديث الإمام أضيفت كلمة «عوضا» إلى آخر الجملة، والغرض منها توضيح معنى حرف جر «من» قدر الإمكان. وفي التناص الكامل المعدل نوقش مثالان، من بينهما قول الإمام علي (ع) عند شريح قاضي: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الْأُخِرَة» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيا والْآخِرة ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾ مع الاختلاف الذي استخدمه الإمام في كلامه مع بعض التغييرات في تركيب الآية. لكن التناص الإشاري انعكس على نطاق واسع في كلام الإمام علي (ع) واحتلت أكبر حجم، لهذا المستوى من العلاقة بين النص، تمت مناقشة ثلاثة أمثلة، بما في ذلك خطاب الإمام: «لُخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» مأخوذة من آية قرآنية وهي ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ لأنه أولًا وقبل كل شيء، تم اعتراض كلتا الكلمتين على محور الدنيا الممدوحة، وثانيًا، كما تقول الآية، لا ينبغي للإنسان أن ينسى منفعته من الدنيا وأن يستخدمه بقدر ما يحتاج إلى اتساق الحياة الدنيوية، وامتنع عن الإسراف والتمرد.

المصادر

القران الكريم.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبه الله (١٤٠٤ق). شرح نهج‌البلاغه. قم: مكتبة آيةالله المرعشي النجفي.

ابن فارس، أحمد (١٤٠٤ق). معجم مقاييس اللغة. المصحح: هارون عبد السلام محمد. قم: مكتب الاعلام الاسلامي.

ابن ميثم، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (١٣٧٥ش). شرح نهج البلاغة. ترجمة: قربان علي محمدي مقدم وآخرون. مشهد: مؤسسة العتبة الرضوية المقدسة.

التفتازاني، مسعود بن عمر (١٤٠٧). المطوّل في شرح تلخيص المفتاح. قم: طباعة أوفست.

تقوايي كارموزدي، فاطمة (١٣٩٤). تحليل مستويات التداخل في مجموعتي «أقراط عرش» و«النوم الأرجواني» بقلم علي موسوي كرمارودي. رسالة ماجستير. قسم اللغة الفارسية وآدابها. جامعة الشاهد.

الثقفي، ابراهيم بن محمد (١٤١٠ق). الغارات. قم: دار الكتاب الإسلامي.

الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٥ق). كتاب التعريفات. بيروت: إبراهيم أبياري.

جوادي أملي، عبدالله (١٣٨٨ش). الحق والواجب في الإسلام. قم: الإسراء.

ـــــــــــــ (١٣٨٩ش). تسنيم. قم: الإسراء.

ـــــــــــــ (١٣٩٢ش). تسنيم. قم: الإسراء.

ـــــــــــــ (١٣٩٥ش). تسنيم. قم: الإسراء.

ـــــــــــــ (١٣٨٦ش). مصدر الفكر. قم: الإسراء.

جوهري، اسماعيل بن حماد (١٣٧٦ق). الصحاح. المصحح: احمد عبدالغفور عطار. بيروت: دارالعلم للملايين.

حبيبي، علي أصغر (١٣٩٢ش). تحقيق العلاقات التناصية بين قصيدة صفي الدين حلي والقرآن الكريم. بحوث أدبية قرآنية. السنة الأولى. عدد ٤.

حلبي، علي أصغر (١٣٨٥ش). تأثير القرآن والحديث في الأدب الفارسي. طهران: منشورات اساطير.

راستكو، سيد محمد (١٣٩٦ش). تجليات القرآن والحديث في الشعر الفارسي. طهران: منشورات سمت.

راغب أصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢ق). المفردات في غريب القرآن. بيروت: دارالعلم.

الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٧٩م). أساس البلاغة. بيروت: دار صادر.

ـــــــــــــ (١٤٠٧ق). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دارالكتب العربي.

ستوده‌نيا، محمدرضا؛ محققيان، زهرا (١٣٩٥ش). تناص القرآن الكريم مع السجادية. أبحاث القرآن اللغوية. السنة الخامسة. العدد الأول. متتالية (٩). ص ٢١-٣٦.

شاهرخي شهركي، فرنكيس؛ بيك‌زاده، خليل و صادقي، اسماعيل (١٣٩٦ش). قراءة العلاقة النصية بين الشعر الرضوي المعاصر والقرآن الكريم. المؤسسة الدولية الثقافية والفنية للإمام الرضا (ع). السنة الخامسة. العدد ١٨. ص ١١٧-١٤٤.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (١٤١٤ق). نهج البلاغه. تصحيح: صبحي صالح. قم: موسسة دار الهجرة.

صفار، محمد بن حسن (١٤٠٤ق). بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد (ص). قم: مكتبة آيةالله المرعشي النجفي.

الطباطبائي، محمدحسين (١٣٧٤ش). تفسير الميزان. ترجمة: سيد محمد باقر موسوي همداني. قم: دار النشر الإسلامية.

الطبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢ش). مجمع البيان في تفسير القرآن. طهران: منشورات ناصر خسرو.

الطبري، محمد بن جرير (١٤١٢ق). جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة.

الطوسي، محمد بن حسن (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار احياء التراث العربي.

فخر الرازي، محمد بن عمر (١٤٢٠ق). مفاتيح الغيب. بيروت: دار احياء التراث العربي.

قرائتي، محسن (١٣٨٣ش). تفسير نور. طهران: المركز الثقافي لدروس القرآن.

كاكاوند قلعه نويي، فاطمه؛ نجار نوبري، عفت (١٣٩٦ش). النهج النصية المتداخلة في التعاليم التربوية لبروين اعتصامي ومولوي. العلوم الإنسانية الفصلية. السنة ٩. العدد ٤ (٢١ على التوالي). ص ٤٧-٥٦.

الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق (١٤٠٧ق). الكافي.

طهران: دارالكتب الإسلامية.

مسبوق، سيدمهدي؛ بيات، حسين (۱۳۹۱ش). علاقات نصوص القرآن مع الكتاب الحادي والثلاثين من نهج البلاغة، مشكوة. رقم ۱۱٤: ص ۲۷-٤۳.

مكارم شيرازي، ناصر (۱۳۷۵ش). رسالة الإمام أمير المؤمنين (ع). طهران: دارالكتب الإسلامية.

ـــــــــــــــــــ (۱۳۷۱ش). التفسير الأمثل. طهران: دارالكتب الإسلاميه.

نامور مطلق، بهمن (۱۳۹٤ش). مقدمة للتناص بين النظريات والتطبيقات. طهران: منشورات سخن.

ـــــــــــــــــــ (۱۳۸٦ش). انعكاس على نظرية التناص لرولان بارت. روزنامه ايران. جريدة إيران. العدد ۳۷٦۰.

واحدي، علي بن احمد (۱٤۱۱ق). اسباب نزول القرآن. تحقيق: كمال بسيوني زغلول. بيروت: دارالكتب العلمية.

تحلیل روابط بینامتنی «دنیا» در نهج‌البلاغه وقرآن کریم

اشرف طحانی[۱]، رسول محمّد جعفری*[۲]، غفار برجساز[۳]

تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۰۶/۰۶ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۱۲/۱۶

۱. کارشناسی ارشد، علوم قرآن وحدیث، دانشگاه شاهد، تهران، ایران
۲. دانشیار، علوم قرآن وحدیث، دانشگاه شاهد، تهران، ایران
۳. استادیار، زبان وادبیات فارسی دانشگاه شاهد، تهران، ایران

چکیده

«بینامتنی» نظریه‌ای است که به بررسی روابط و تعامل بین متن‌ها می‌پردازد. بر اساس این نظریه، هر متن بر پایه متونی که پیشتر خوانده شده است معنا می‌دهد. قرآن همواره در آثار اسلامی و به ویژه روایات ائمه اثرگذار بوده است. یکی از متون حدیثی که رابطه بینامتنی آن با آیات قرآن به صورت چشمگیری قابل تحلیل است، نهج‌البلاغه. از جمله موضوعاتی که نهج‌البلاغه فراوان از قرآن تأثیر پذیرفته، «دنیا» است، به طوری که در هر دو متن، از دنیا سه تصویر: «دنیای ممدوح»، «دنیای مذموم» و «علت مدح وذم دنیا» ترسیم شده است. پژوهش حاضر با تمرکز بر موضوع «دنیا» و با روش توصیفی تحلیلی در پی پاسخ به این سؤال بر آمده است تحلیل روابط بینامتنی «دنیا» در نهج‌البلاغه و قرآن چگونه است؟ یافته‌های تحقیق حکایت از آن داشت در نمونه بینامتنیت کامل متنی، امام علی(ع)، آیه: «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياة الدُّنْيا مِنَ الآخِرة» را بدون تغییر در ساختارش به کار برده است. در بینامتنیت کامل تعدیلي، دو نمونه بحث گردید از جمله، این سخن امام(ع): «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الآخِرَة» برگرفته از جمله قرآنی: «خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرة» است، با این تفاوت که برخی تغییرات در ساختار آیه، اعمال شده است. اما بینامتنیت اشاره‌ای بیشترین حجم را به خود اختصاص داده است، برای این سطح از رابطه بینامتنی سه نمونه بحث شد از جمله سخن امام(ع): «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ» الهام گرفته از جمله قرآنی: «وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» است.

کلیدواژه‌ها: نهج‌البلاغه، قرآن، دنیا، بینامتنیت کامل متنی، بینامتنیت کامل تعدیلی، بینامتنیت اشاره‌ای.

COPYRIGHTS
© 2021 by the authors. Lisensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (http:/creativecommons.org/licenses/by/4.0)